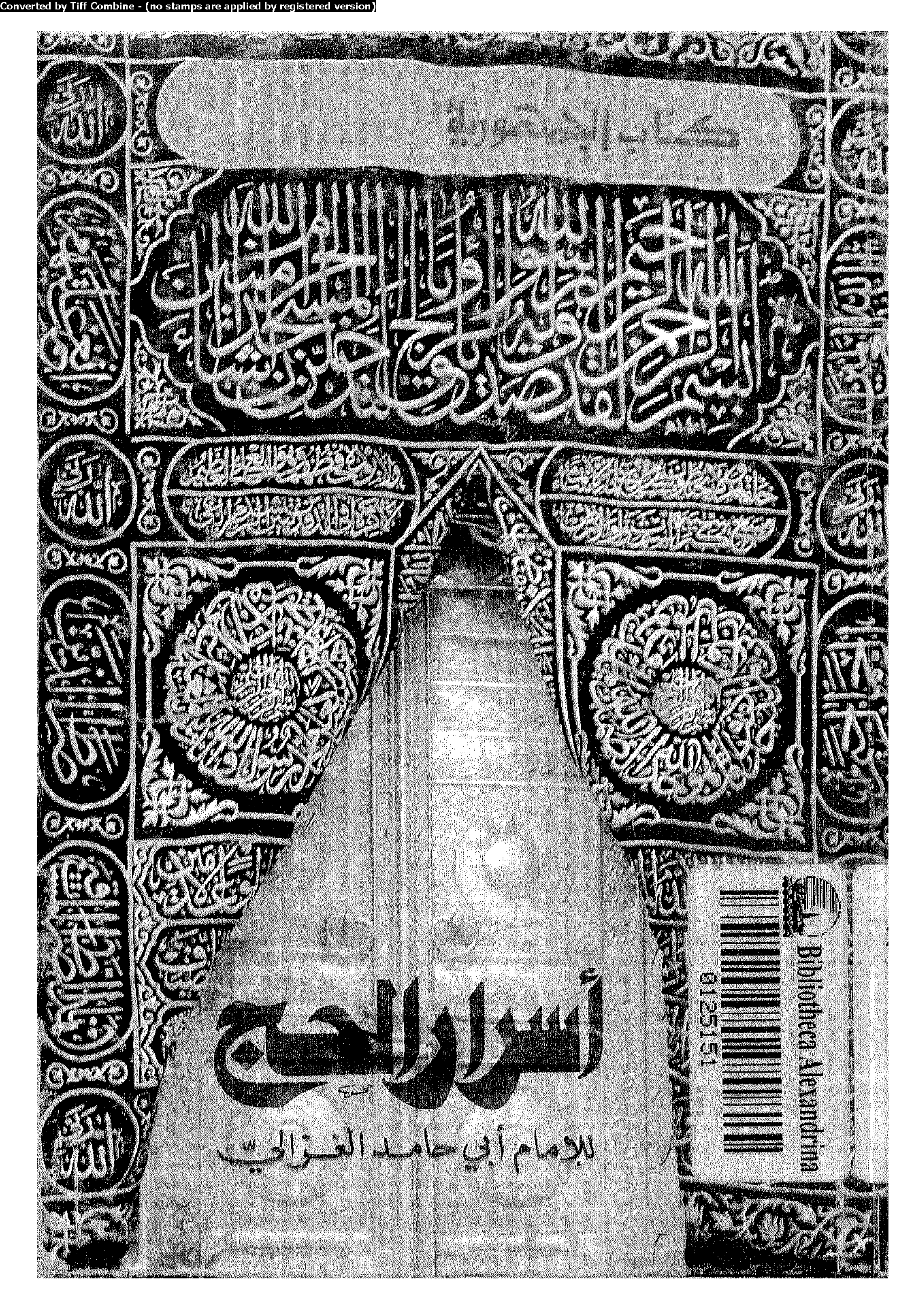

كتاب الجمهورية
أسرار الحج
للإمام أبي حامد الغزالي
Bibliotheca Alexandrina
0125151

كتاب الجمهورية

يصـــدر عن

دار التحـرير للطبع والنشـر

رئيس مجـلس الإدارة

سمير رجب

المشرف على التحرير

فاروق فهمى

الطباعة :

شركة الإعلانات الشرقية

٢٤ ش زكريا أحمد ـ القاهرة

ت : ٥٧٤٩٤٩٤

الإعلانات :

شركة الإعلانات المصرية

٥ شارع نجيب الريحانى

ت : ٥٧٤٩٩٩٩

التوزيع :

شركة التوزيع المتحدة

٢١ شارع قصر النيل

ت : ٣٩٢٣٧٤٩

المراسلات :

كتـاب الجمهـورية

٢٤ شارع زكريا أحمد

ت : ٥٧٤٩٩٩٦

كتاب الجمهورية

أسرار الحج

للإمام أبي حامد الغزالي



بسم الله الرحمن الرحيم

وَأتموا الحج وَالعمرة لله

صدق الله العظيم



مقدمة

الحمد لله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزاً وحصناً ، وجعل البيت مثابة للناس وأمنا ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفاً وتحصيناً ، ومنًّا ، وجعل زيارته والطواف به حجاباً بين العبد وبين العذاب ومجَنًّا والصلاة على محمد نبى الرحمة ، وسيد الأمة ، وعلى آله وصحبه قادة الحق ، وسادة الخلق ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فان الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه ، عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الإسلام ، وكمال الدين فيه ، أنزل الله عز وجل قوله :

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] .

وفيه قال ـ ﷺ ـ [2] :

« مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ فَلْيَمُتْ إنْ شَـاءَ يَهُودِيًا وَإنْ شَـاءَ نَصْـرانِيًّا »

---

(١) المائدة : ٣ .

(٢) حديث من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا عد من حديث أبى هريرة : ونحوه من حديث على وقال غريب وفى اسناده مقال .

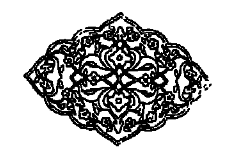
فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال ، وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها .

وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق ، وجمل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع .

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة .



الباب الأول

(أ) فضائل الحج
(ب) فضائل مكة والبيت العتيق
(جـ) أركانها .. وشرائط وجوبها



الفصل الأول

فضيلة الحج

قال الله عز وجل :

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1] .

وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج ، نادى :

« يأيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتاً فحجوه » .

وقال تعالى :

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾[2] .

قيل التجارة فى الموسم ، والأجر فى الآخرة . ولما سمع بعض السلف هذا قال : غفر لهم ورب الكعبة .

وقيل فى تفسير قوله عز وجل :

---

(١) الحج : ٢٧ .

(٢) الحج : ٢٨ .

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١).

أى طريق مكة يقعد الشيطان عليه ليمنع الناس منها .

وقال ــ ﷺ ــ (١) :

« مَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »

وقال أيضاً ــ ﷺ ــ (٢) :

« ما رُئِيَ الشَّيْطَانُ فى يَوْمٍ أَصْغَرَ وَلاَ أَدْحَرَ وَلَا أَحْقَرَ وَلَا أَغْيَظَ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ » .

وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة ، وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام ، إذ يقال (٣) :

« إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنوباً لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا ٱلْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ » وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله ــ ﷺ ــ .

---

(١) الاعراف : ١٦ .

(١) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه : أخرجاه من حديث أبى هريرة .

(٢) حديث ماروى الشيطان فى يوم هو اصغر ـــ الحديث : مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلاً .

(٣) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الوقوف بعرفة : لم أجدله أصلا .

وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة ، فإذا هو ناحل الجسم ، مصفر اللون ، باكى العين ، مقصوف الظهر ، فقال له :

ما الذى أبكي عينك ؟

قال :خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزننى ذلك .

قال : فما الذى أنحل جسمك ؟

قال :.صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب إلىَّ .

قال : فما الذى غير لونك ؟

قال : تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلىَّ .

قال : فما الذى قصف ظهرك ؟

قال : قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن .

وقال صلى الله عليه وسلم :(١) :

« مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً فَمَاتَ أَجْرِىَ لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَاتَ فِى إِحْدَى ٱلْحَرَمَيْنِ لَمْ يُعْرَضْ وَلَمْ يُحَاسَبْ وَقِيلَ لَهُ ادْخُلِ ٱلْجَنَّةَ »

وقال ـ ﷺ ـ(٢) :

« حِجَّةٌ مَبْرُورَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَحِجَّةٌ مَبْرُورَةٌ لَيْسَ لَهَا جَزَاءٌ إِلَّا ٱلْجَنَّةُ » .

وقال ـ ﷺ ـ(٣) :

« ٱلْحُجَّاجُ وَٱلْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَزُوَّارُهُ إِنْ سَأَلُوهُ أَعْطَاهُمْ وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ وَإِنْ دَعَوْا اسْتُجِيبَ لَهُمْ وَإِنْ شَفَعُوا شُفِّعُوا » .

---

(١) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة : هو فى الشعب بالشطر الأول من حديث أبى هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثانى نحوه وكلاهما ضعيف .

(٢) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة : أخرجاه من حديث أبى هريرة الشطر الثانى بلفظ الحج المبرور وقال أن الحجة المبرورة وعند ابن عدى حجة مبرورة .

(٣) حديث الحجاج والعمار وفد لله وزواره ـــ الحديث : هو من جديث أبى هريرة دون قوله وزواره ودون قوله ان سألوه أعطاهم وان شفعوا شفعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب .

وفى حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام[1] :

« أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له » .

وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ـ ﷺ ـ[2] أنه قال :

« ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة : ستون للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين »[3] .

وفى الخبر : « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شىء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه » .

ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة[4] .

وفى الخبر : « من طاف أسبوعا حافيا حاسراً كان له كعتق رقبة ، ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنبه » . .

ويقال : إن الله عز وجل إذا غفر لعبده ذنباً فى الموقف غفره لكل من أصابه فى ذلك الموقف .

---

(١) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له : الخطيب فى المتفق والمفترق وأبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف .

(٢) حديث ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة : حب فى الضعفاء وهو فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر .

(٣) حديث استكثروا من الطواف بالبيت ـــ الحديث : حب وك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين .

(٤) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنوبه : لم أجده هكذا وعند ت هـ من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظ ت وحسنه .

وقال بعض السلف : إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل أهل عرفة ، وهو أفضل يوم فى الدنيا وفيه حَجَّ رسُولُ اللهُ ـ ﷺ ـ[1] حَجَّةَ الْوَدِاعِ وَكَانَ وَاقفاً إِذ نَزَلَ قولُهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1]

قال أهل الكتاب : لو نزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد ، فقال عمر رضى الله عنه :

أشهد لقد أنزلت هذه الآية فى يوم عيدين اثنين : يوم عرفة ، ويوم جمعة ، على رسول الله ـ ﷺ ـ وهو واقف بعرفة .

وقال ـ ﷺ ـ[2] :

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ وَلمن اسْتَغْفَرَ لَهُ ٱلْحَاجُّ » .

ويروى أن على بن موفّق حج عن رسول الله ـ ﷺ ـ حججاً قال :

فرأيت رسول الله ـ ﷺ ـ فى المنام .

---

(١) المائدة : ٣ .

(١) حديث وقوفه فى حجة الوداع يوم الجمعة ونزول اليوم أكملت لكم دينكم ـــ الحديث أخرجاه من حديث عمر .

(٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج : ك من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط م .

فقال لى يا ابن موفق حججت عنى ؟

قلت . نعم .

قال : ولبيت عنى ؟. قلت : نعم .

قال : فانى أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فى الموقف فأدخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب .

وقال مجاهد وغيره من العلماء : إن الحجاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل ، وصافحوا الحمر ، واعتنقوا المشاة اعتناقاً .

وقال الحسن : من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج ، مات شهيداً .

وقال عمر رضى الله عنه . الحاج مغفور له ولمن يستغفر له فى شهر ذى الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأوّل .

وقد كان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ، وأن يستقبلوا الحاج ، ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ، ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام .

ويروَى عن على بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى فى مسجد الخيف فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر ، فنادى أحدهما صاحبه :

يا عبد الله .

فقال الآخر : لبيك يا عبد الله ، قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة .

قال : لا أدرى .

قال : حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدرى كم قبل منهم ؟

قال لا قال : ستة أنفس .

قال : ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى ، فانتبهت فزعاً ، واغتممت غماً شديداً ، وأهمنى أمرى .

فقلت : إذا قبل حج ستة أنفس ؟ فأين أكون أنا فى ستة أنفس ؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم ، فحملنى النوم فإذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ، ثم قال :

أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل فى هذه الليلة ؟

قال : لا .

قال : فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف .

قال : فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف .

وعنه أيضاً رضى الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه .

فقلت : اللهم إنى وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته .

قال : فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله .

فقال لى : يا على تتسخى على وأنا خلقت السخاء والأسخاء ، وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين ، وأحق بالجود والكرم من العللين : قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته .

الفصل الثانى

فضيلة البيت ومكة المشرفة

قال ـ ﷺ ـ :[1] :

« إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَ هَذَا ٱلْبَيْتَ أنْ يَحُجَّهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتُمَائَةِ أَلْفٍ ، فَإِنْ نَقَصُوا أَكْمَلَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ ، وَإِنَّ ٱلْكَعْبَةَ تُحْشَرُ كَالْعَرُوسِ ٱلْمَزْفُوفَةِ وَكُلُّ مَنْ حَجَّهَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْتَارِهَا يَسْعَوْنَ حَوْلَهَا حَتَّى تَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ فَيَدْخُلُونَ مَعَهَا » .

وفى الخبر :[2] :

« إِنَّ ٱلْحَجَرَ ٱلْأَسْوَدَ يَاقُوتَةٌ مِنْ يَوَاقِيتِ ٱلْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ بِكُلِّ مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ وَصِدْقٍ » .

---

(١) حديث ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه كل سنة ستمائة ألف ـــ الحديث : لم أجد له أصلا .

(٢) حديث ان الحجر ياقوته من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان ـــ الحديث : ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقى الحديث رواه ت وحسنه و هـ وحب و ك وصحح اسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصحح اسناده ورواه ن حب ك من حديث عبدالله بن عمرو .

وَكَانَ ـ ﷺ ـ[1] يُقَبِّلُهُ كَثِيراً » .

وروى « أَنَّهُ ـ ﷺ ـ[2] سَجَدَ عَلَيْهِ » .

وَ « كَانَ يَطُوفُ عَلَى الرَّاحِلَةِ فيضعُ ٱلْمِحْجَن عَلَيْهِ ثُمَّ يُقَبِّلُ طَرَفَ ٱلْمِحْجَنِ »[3]

وَقَبَّلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ :

إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَاتَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ .

ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَلاَ نَشيجُهُ فَالْتَفَتَ إِلى وَرَائهِ فَرَأَى عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال : ياأبا الحسن ها هنا تُسْكَبُ العَبَرَاتُ وتُسْتجابُ الدعوات فقال عَلِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ بَلْ هُوَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ .

قَالَ : وَكَيْفَ ؟

قَالَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَخذَ ٱلْميثاقَ عَلَى الذُّرِّيَّةِ كَتَبَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا ثُمَّ أَلْقَمَهُ هَذَا ٱلْحَجَرَ فَهُوَ يَشْهَدُ لِلْمُؤْمِنِ بِٱلْوَفَاءِ وَيَشْهَدُ عَلَى ٱلْكَافِرِ بِٱلْجُحُودِ » .

---

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيراً أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا و ن أنه كان يقبله كل مرة ثلاثا ان رآه خالياً .

(٢) حديث أنه كان يسجد عليه : البزار و ك من حديث عمر وصحح اسناده .

(٣) حديث قبله عمر وقال اني لأعلم انك حجر : أخرجاه دون الزيادة التى رواها على ورواه بتلك الزيادة ك وقال ليس من شرط الشيخين .

قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام : اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك .

وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه : **أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم ، وصدقة درهم بمائة ألف درهم ، وكذلك كل حسنة بمائة ألف .**

ويقال : **طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة** [١] .

وفى الخبر الصحيح : « **عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ كَحَجَّةٍ مِعِى** » .

وقال ـ ﷺ ـ [٢] :

« **أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ ٱلْأَرْضُ ثُمَّ آتِي أَهْلَ ٱلْبَقِيعِ فَيُحْشَرُون مَعِي ثُمَّ آتِي أَهْلَ مَكَّةَ فَأُحْشَرُ بَيْنَ ٱلْحَرَمَيْنِ** » .

وفى الخبر [٣] :

« **إِنَّ آدَمَ صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَضَى مَنَاسِكَهُ لَقِيَتْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ فَقَالُوا بَرَّ حَجُّكَ يَا آدَمُ لَقَدْ حَجَجْنَا هَذَا ٱلْبَيْتَ قَبْلَكَ بِأَلْفَيْ عَامٍ** » .

---

(١) حديث عمرة فى رمضان كحجة معى : أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله معى فهى عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة معى ورواه ك بزيادتها من غير شك .

(٢) حديث أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ـ الحديث : ت وحسنه وحب من حديث ابن عمر .

(٣) حديث أن آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برحجك يا آدم ـ الحديث : رواه المفضل الجدى ومن طريقه ابن الجوزى فى العل من حديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرق فى تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس .

وجاء فى الأثر : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْظُرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى ٱلْأَرْضِ فَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَهْلُ ٱلْحَرَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَرَمِ أَهْلُ المسجِدِ ٱلْحَرَامِ ، فَمَنْ رَآهُ طَائِفاً غَفَرَ لَهُ وَمَنْ رَآه قَائماً مُسْتَقْبِلَ ٱلْكَعْبَةِ غَفَرَ لَهُ » .

وكوشف بعض الأولياء رضى الله عنهم ، قال : إنى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ، ورأيت عبادان ساجدة لجدة .

ويقال : لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثراً .

وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ، ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية ، ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها .

وفى الخبر [1] « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهٰذَا ٱلْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ فَقَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ وَيُرْفَعُ فِى الثَّالِثَةِ » .

وروى عن على رضى الله عنه عن النبى ـ ﷺ ـ انه قال : قال الله تعالى [2] :

« إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُخَرِّبَ الدُّنْيَا بَدَأْتُ بِبَيْتِى فَخَرَّبْتُهُ ثُمَّ أُخَرِّبُ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِه » .

---

(١) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت ـــ الحديث : البزار و حب و ك وصححه من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة .

(٢) حديث قال الله اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره : ليس له أصل .



الفصل الثالث

فضيلة المقام بمكة المكرمة حرسها الله تعالى وكراهيته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة **لمعان ثلاثة** :

الأوّل : خوف التبرم والانس بالبيت ، فإن ذلك ربما يؤز فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام ، وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول :

يا أهل اليمن يمنكم ، ويا أهل الشام شامَكم ، ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف .

وقال : خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت .

الثانى : تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود ، فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أى يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطراً .

وقال بعضهم : **تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر .**

وقال بعض السلف : كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به :

ويقال : إن لله تعالى عباداً تطوف بهم الكعبة تقرباً إلى الله عز وجل .

الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها ، فإن ذلك مخطر ، وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع .

وروى عن وهيب بن الورد المكى قال : كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاماً بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم ، لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قطع منه .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : « ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة ، وتلا قوله تعالى :

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

أى أنه على مجرد الارداة .

ويقال : « أن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات » .

---

(١) الحج : ٢٥ .

وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول : **الاحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم .**

وقيل الكذب أيضاً ، وقال ابن عباس : « لأن أذنب سبعين ذنباً بركية أحبُّ إليَّ من أن أذنب ذنباً واحداً بمكة » .

وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أنه لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة . وبعضهم أقام شهرا ، وما وضع جنبه على الأرض . وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة .

ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة ، لأن هذه كرامة علّتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع . فمعنى قولنا : **إن ترك المقام به أفضل** ، أى بالاضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم ، أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات : وكيف لا ولما عاد رسول الله ﷺ إلى مكة استقبل الكعبة وقال [1] « **إنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ الله عَزَّ وَجَلَّ وأَحَبُّ بِلَادِ الله تَعَالَى إِلَيَّ ولوْلَا أَنِّى أُخرِجْتُ مِنْك لَمَا خَرجْتُ** » . وكيف لا . والنظر إلى البيت عباده ، والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه ؟

---

(١) حديث انك لخير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولولا انى أخرجت منك ماخرجت : ت وصححه و ن فى الكبرى وهو حب من حديث عبدالله بن عدى بن الحمراء .



الفصل الرابع

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله ﷺ . فالأعمال فيها أيضا مضاعفة .

قال ﷺ (١)« صَلَاةٌ فى مَسْجِدِى هَذا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيماَ سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِد الْحَرَامِ » .

وروى ابن عباس عن النبى ﷺ (٢)أنه قال :

« صَلَاةٌ فِى مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ بِعَشْرَةِ آلاف صَلَاةٍ ، وَصَلَاةٌ فِى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى بألِفِ صَلَاةٍ ، وَصَلَاةٌ فِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمائَةِ أَلْف صَلَاةٍ » .

---

(١) حديث صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام : متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه م من حديث ابن عمر .

(٢) حديث ابن عباس صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة : غريب لم أجده بجملته هكذا و هـ من حديث ميمونة باسناد جيد فى بيت المقدس إئتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة فى غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ليس فى اسناده من ضعف وقال الذهبى انه منكر .

وقال ﷺ[١] : « مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّتِهَا ولأوائِها كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ القِيَامَةِ » .

وقال ﷺ :[٢] « مَن اسْتَطَاعَ أنْ يَمُوتَ بِالْمَدينَةِ فَلْيَمُتْ فَإنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أحَدٌ إلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم ، ولذلك قال ﷺ :[٣] « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِى هَذَا والْمَسْجِدِ الأَقْصَى » .

وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء ، وما تبين لى أن الأمر كذلك ، بل الزيارة مأمور بها .

قال ﷺ :[٤] « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْراً » .

---

(١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة . م من حديث أبى هريرة وابن عمر وأبى سعيد .

(٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ـــ الحديث : ت هـ من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح .

(٣) حديث لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد ـــ الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد .

(٤) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب

والحديث إنما ورد فى المساجد ، وليس فى معناها المشاهد ، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ، ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر .

وأما المشاهد فلا تتساوى ، بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل ، نعم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد ، وينتقل إليه بالكلية إن شاء .

ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام : مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام ؟ فالمنع من ذلك فى غاية الاحالة ، فإذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى معناها ، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة ، كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة .

أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه ، فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة ، فهو أفضل المواضع له ، قال ﷺ [1] « **الْبِلَادُ بِلَادُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ والْخَلْقُ عِبَادُهُ فَأَىُّ مَوْضِعٍ رَأَيْتَ فِيهِ رِفْقاً فَأَقِمْ وَاحْمِدِ اللهَ تَعَالَى** » .

---

(١) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم : أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف .

وفى الخبر : [1]« مَنْ بُورِك لَهُ فى شَىْءٍ فَلْيَلْزَمْهُ وَمَنْ جُعِلَتْ مَعِيشَتُهُ فِى شَىْءٍ فَلا يَنْتَقِلْ عَنْهُ حَتَّى يَتَغَيَّرْ عَلَيْهِ » .

وقال أبو نعيم : رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده .

فقلت : إلى أين يا أبا عبدالله ؟

قال : إلى بلد أملأ فيه جرابى بدرهم .

وفى حكاية أخرى : بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها .

قال : فقلت وتفعل هذا يا أبا عبدالله ؟

فقال : نعم إذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لهمك

وكان يقول : هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين ؟ هذا زمان تنقل يتنقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن .

ويحكى عنه أنه قال : والله ما أدرى أى البلاد أسكن ؟

فقيل له : خراسان .

---

(١) حديث من رزق فى شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه : هـ من حديث أنس بالجملة الاولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ اذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتنكر له .

فقال : مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ؟

قيل : فالشام .

قال : يشار اليك بالأصابع . أراد الشهرة .

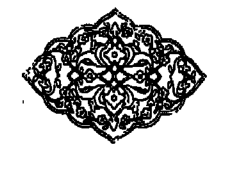
قيل : فالعراق .

قال : بلد الجبابرة .

قيل مكة . قال : مكة تذيب الكيس والبدن .

وقال له رجل غريب : عزمت على المجاورة بمكة فأوصنى .

قال : أوصيك بثلاث : لا تصلين فى الصف الأول ، ولا تصحبن قرشيا ، ولا تظهرن صدقة . وإنما كره الصف الأول لأنه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع .





الفصل الخامس

شـــروط وجـوب الحـج وواجباته ومحظوراته

شروط وجوب الحج :

أما الشرائط : فشرط .. صحة الحج اثنان :

الوقت ، والاسلام .

فيصح حج الصبى ، ويحرم بنفسه إن كان مميزاً ، ويحرم عنه وليه إن كان صغيرا ، ويفعل به ما يفعل فى الحج من الطواف والسعى وغيره .

وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر .

فمن أحرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة .

وجميع السنة وقت العمرة ، ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغى أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال عقيبة لاشتغاله بأعمال منى .

وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة :

الاسلام ، والحرية ، والبلوغ ، والعقل ، والوقت .

فان أحرم الصبى أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبى بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر ، أجزأهما عن حجة الاسلام ، لأن الحج عرفة ، وليس عليهما دم إلا شاة . وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت .

وإما شروط **وقوع الحج نفلا** عن الحر البالغ : فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام . فحج الاسلام متقدم ، ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ، ثم النذر ، ثم النيابة ، ثم النفل وهذا الترتيب مستحق ، وكذلك يقع وإن نوى خلافه .

وأما شروط **لزوم الحج** فخمسة :

البلوغ ، والاسلام ، والعقل ، والحرية ، والاستطاعة .

ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ، ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ، ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج .

أنواع الاستطاعة :

وأما **الاستطاعة** فنوعان : أحدهما **المباشرة** ، وذلك له أسباب : أما فى نفسه فبالصحة ، وأما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر

وأما فى المال فبأن يجد نفقته ذهابه وايابه إلى وطنه ، كان له أهل أو لم

يكن ، لأن مفارقة الوطن شديدة ، وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة ، وأن يملك ما يقضى به ديونه ، وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة .

وأما النوع الثانى : **فاستطاعة المعضوب بماله .**

وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ، ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع ، والابن إذا عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعاً ، ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعاً ، لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد ، وبذل المال فيه منة على الوالد .

ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ، ولكنه فيه على خطر ، فان تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه ، وإن مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصياً بترك الحج .

وكان الحج فى تركته يحج عنه وإن لم يوص ، كسائر ديونه ، وإن استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقى الله عز وجل ولا حج عليه .

ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى ، قال عمر رضى الله عنه : **لقد هممت أن أكتب فى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا !**

وعن سعيد ابن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس : لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه . وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه .

وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا ، وقرأ قوله عز وجل :

﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ (١)

قال .. الحج .

أركان الحج :

وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة :

الاحرام ، والطواف ، والسعي بعده ، والوقوف بعرفة ، والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف .

واجبات الحج :

والواجبات المجبورة بالدم ست :

الاحرام من الميقات ، فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة ، والرمي فيه الدم قولا واحدا . وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس ، والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى .. وطواف الوداع .

---

(١) المؤمنون : ٩٩

فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين ، وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستخباب .

وجوب أداء الحج والعمرة :

وأما وجوب أداء الحج والعمرة فثلاثة :

الأول : **الإفراد** ، وهو الأفضل ، وذلك أن يقدم الحج وحده ، فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر . وأفضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية .

وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع .

الثانى : **القران ، وهو أن يجمع فيقول : لبيك بحجة وعمرة معاً** فيصير محرما بهما ، ويكفيه أعمال الحج ، وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل ، إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين .

وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط طواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف .

وعلى القارن دم شاه إلا أن يكون مكيا فلا شيء عليه ، لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة .

الثالث : **التمتع** ، وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج .

شروط التمتع :

ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط :

أحدهما : أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام ، وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة .

الثانى : أن يقدم العمرة على الحج .

الثالث : أن تكون عمرته فى أشهر الحج .

الرابع : أن لا يرجع إلى ميقات الحج ، ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج .

الخامس : أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد .

فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاه ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة ، وسبعة إذا رجع إلى الوطن .

وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا . وبدل دم القران والتمتع سواء .

والأفضل الإفراد ثم التمتع ثم القران .

محظورات الحج والعمرة :

وأما محظورات الحج والعمرة فستة :

الأول : اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة ، بل ينبغى أن يلبس إزاراً ورداء ونعلين ، فإن لم يجد نعلين فمكعبين ، فإن لم يجد إزارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحمل ، ولكن لا ينبغى أن يغطى رأسه فإن إحرامه فى الرأس .

وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فإن إحرامها فى وجهها .

الثانى : **الطيب** ، فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فإن تطيب أو لبس فعليه دم شاه .

الثالث : **الحلق والقلم** ، وفيهما الفدية أعنى دم شاه . ولابأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر .

الرابع : **الجماع** ، وهو مفسد قبل التحلل الأول ، وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه ، وان كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه .

الخامس : **مقدمات الجماع** كالقبلة والملامسة التى تنقض الطهر مع النساء ، فهو محرم ، وفيه شاة ، وكذا فى الاستمناء . ويحرم النكاح والإنكاح ، ولا دم فيه لأنه لا ينعقد .

السادس : **قتل صيد البر** أعنى ما يؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام ، فإن قتل صيداً فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة ، وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه .



الباب الثانى

- ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع
- سنن الرجوع من السفر



الفصل الأول

ترتيب الأعمال الظاهرة
من أول السفر إلى الرجوع

وهى عشر جمل :

الجملة الأولى : فى السير من أول الخروج إلى الإحرام ، وهى ثمانية :

الأولى فى المال :

فينبغى أن يبدأ بالتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، ويرد ما عنده من الودائع ، ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ، ويتصدق بشيء قبل خروجه ، ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف ، أو يكتريها ، فإن اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه .

الثانية : فى الرفيق .

ينبغى أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ، إن نسى ذكره ؛ وإن ذكر أعانه ، وإن جبن شجعه ؛ وإن عجز قواه ؛ وإن

ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه ؛ فيودعهم ويلتمس أدعيتهم ؛ فإن الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا والسنة فى الوداع أن يقول[1]« **أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ** » .

وكان ﷺ[2] يقول لمن أراد السفر :

« **فى حِفْظِ اللهِ وَكَنَفِهِ ، زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا كُنْتَ** » .

الثالثة : فى الخروج من الدار :

ينبغى إذا همّ بالخروج أو يصلى ركعتين أولاً ، يقرأ فى الأولى **بعد الفاتحة** (**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**) .. وفى الثانية **الإخلاص** .

فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة ، وقال :

اللهم أنت الصاحب فى السفر ، وأنت الخليفة فى الأهل والمال والولد والأصحاب ، احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة .

---

(١) حديث استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك : د ت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول الرجل إذا اراد سفرا ادن منى حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا .

(٢) حديث كان صلى الله عليه وسلم يقول لمن آراد سفرا فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت فى الدعاء ، الطبرانى من حديث أنس وهو عند ت وحسنه دون قوله فى حفظ الله وكنفه .

اللهم إنا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى .

اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الأرض ، وتهون علينا السفر ، وأن ترزقنا فى سفرنا سلامة البدن والدين والمال ، وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد ﷺ .

اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد والأصحاب ، **اللهم** اجعلنا وإياهم فى جوارك ، ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ، ولا تغير مابنا وبهم من عافيتك .

الرابعة : إذا **حصل على باب الدار** قال :

بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، رب أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أذل أو أُذل ، أو أزل أو أُزل ، أو أظلم أو أُظلم ، أو أجهل أو يُجهل عليَّ .

اللهم إنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، بل خرجت إتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقائك .

فإذا مشى قال :

اللهم بك انتشرت وعليك توكلت ، وبك اعتصمت وإليك

توجهت ، **اللهم** أنت ثقتى وأنت رجائى ، فاكفنى ما أهمنى ومالا أهتم به وما أنت أعلم به منى ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك

اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت .

ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يدخل عليه .

الخامسة **فى الركوب** : فإذا ركب الراحلة يقول :

بسم الله وبالله والله أكبر ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون .

اللهم إنى وجهت وجهى إليك وفوضت أمرى كله إليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك ، أنت حسبى ونعم الوكيل .

فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال :

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، سبع مرات .

وقال : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

- **اللهم** أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور .

السادسة فى **النزول** : والسنة أن لا ينزل حتى يحمى النهار ،

ويكون أكثر سيرة بالليل ، قال ﷺ[1] « عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لَا تُطْوَى بِالنَّهَارِ » .

وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ، ومهما أشرف على المنزل فليقل :

اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، ورب البحار وما جرين ، أسألك خير هذا المنزل وخير أهله ، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه ، اصرف عنى شر شرارهم .

فإذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال :

أعوذ بكلمات الله التامة التى لا يجوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق .

فإذا جن عليه الليل يقول :

يا أرض ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك ، وشر مادب عليك ، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود ، وحية وعقرب ، ومن شر ساكن البلد ، ووالد وما ولد .

---

(١) حديث عليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار : د من حديث أنس دون قوله مالا تطوى بالنهار وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا .

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[1]

السابعة فى الحراسة : ينبغى أن يحتاط بالنهار ، فلا يمشى منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ، ويكون بالليل متحفظا عند النوم[1] فإن نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه ، وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه .

هكذا كان ينام رسول الله ﷺ فى سفره ، لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدرى ، فيكونِ ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج .

والأحب فى الليل[3] أَنْ يَتَنَاوَبَ الرَّفِيقَانِ فِي ٱلْحِرَاسَةِ ، فإذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة ، فإن قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهد الله ، والإخلاص والمعوذتين ، وليقل :

بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، حسبى الله توكلت على

---

(1) الأنعام : ١٣ .

(٢) حديث كان اذا نام فى أول الليل افترش ذراعه وإذا نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه فى كفه : أحمد و ت فى الشمائل من حديث ابن قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقى والحميدى إلى م ولم أره فيه .

(٣) حديث تناوب الرفيقين فى الحراسة فإذا نام احدهما حرس الآخر : هق من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه فقال الانصارى للمهاجرى أى الليل أحب إليك أن أكفيكه أوله أو آخره فقال له اكفنى أوله فاضطجع المهاجرى ـــ الحديث : والحديث عند أبى داود ولكن ليس فيه قول الانصارى للمهاجرى .

الله ، ما شاء الله لا يأتى بالخير إلا الله ، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ .

كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ، تحصنت بالله العظيم ، واستغثت بالحى الذى لا يموت .

اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام ، واكنفنا بركنك الذى لا يرام ، **اللهم** ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا .

اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين .

الثامنة : **مهما علا نشزا من الأرض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ، ثم يقول :**

اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال ، ومهما هبط سبّح ، ومهما خاف الوحشة فى سفره قال :

سبحان الله الملك القدوس ، رب الملائكة والروح ، جللت السموات بالعزة والجبروت .

....

الجملة الثانية : فى آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة

وهى خمسة :

الأول : **أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام** ، أعنى إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه ، ويمم غسله بالتنظيف ، ويسرح لحيته ورأسه ، ويقلم أظافره ، ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة .

الثانى : **إن يفارق الثياب المخيطة** ويلبس ثوبى الاحرام ، فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ، ويتطيب فى ثيابه وبدنه ، ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الإحرام[1] فقد « روئى بَعْضُ ٱلمِسْكِ عَلَى مَفْرِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ ٱلإِحْرَامِ » مما كان استعمله قبل الاحرام .

الثالث : **أن يصبر بعد لبس الثياب** حتى تنبعث به راحلته إن كان راكبا ، أو يبدأ بالسير إن كان راجلا ، فعند ذلك ينوى الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو افرادا كما أراد .

ويكفى مجرد النية لانعقاد الاحرام ، ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول : **لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .**

وان زاد قال : **لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والرغباء اليك ، لبيك بحجة حقا ، تعبدا ورقا ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .**

---

(١) حديث رؤية وبيض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام : متفق عليه من حديث عائشة قالت كأنما أنظر الى وبيض المسك ـــ الحديث :

الرابع : **إذا انعقد احرامه بالتلبية** المذكورة فيستحب أن يقول :

اللهم إنى أريد الحج فيسره لى وأَعِنِّى على أداء فرضه وتُقبله منى .

اللهم انى نويت أداءَ فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك ، واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم ، اللهم فيسر لى أداء ما نويت من الحج .

اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصبى ومخى وعظامى ، وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة .

ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل ، فليجتنبها .

الخامس : يستحب **تجديد التلبية فى دوام الاحرام** خصوصا عند اصطدام الرفاق ، وعند اجتماع الناس ، وعند كل صعود وهبوط ، وعند كل ركوب ونزول ، رافعا بها صوْتَهُ **بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر**[1] فإنه لَا يُنَادِى أصَمَّ وَلا غَائِباً كما ورد فى الخبر .

ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة ، فانها مظنة المناسك ، أعنى المسجد الحرام ، ومسجد الخيف ، ومسجد الميقات .

وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت .

---

(١) حديث انكم لا تنادون أصم ولا غائبا : متفق عليه من حديث أبو موسى .

وكان ﷺ[1] إذا أعجبه شيء قال : « لَبَّيْكَ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَةِ » .

الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة إلى الطواف ، وهى ستة :

الأول : أن يغتسل بذى طوى لدخول مكة :

والاغتسالات المستحبة المسنونة فى الحج تسعة :

الأول : للاحرام من الميقات ، ثم لدخول مكة ، ثم لطواف القدوم ، ثم للوقوف بعرفة ، ثم للوقوف بمزدلفة ، ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث ، ولا غسل لرمى جمرة العقبة ، ثم لطواف الوداع .

ولم ير الشافعى رضى الله عنه فى الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع ، فتعود إلى سبعة .

الثانى : أن يقول عند الدخول فى أول الحرم وهو خارج مكة :

اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار ، وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك .

الثالث : أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف .

---

(١) حديث كان اذا أعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة : الشافعى فى السند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال انما الخير خير الآخرة .

« عَدَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [1] مِنْ جَادَّةِ الطَّرِيقِ إِلَيْهَا » .

فالتأسى به أولى . وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهى الثنية السفلى ، والأولى هى العليا .

الرابع : إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت ، فليقل :

لا إله إلا الله والله أكبر ، اللهم أنت السلام ومنك السلام ، ودارك دار السلام ، تباركت ياذا الجلال والاكرام .

اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته .

اللهم فزده تعظيما ، وزده تشريفاً وتكريماً ، وزده مهابة ، وزد من حجه برا وكرامة .

اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك ، وأعذنى من الشيطان الرجيم .

الخامس : إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة وليقل : بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ .

---

(١) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف : متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة دخل من الثنية العليا الى البطحاء ـ الحديث :

فإذا قرب من البيت قال : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك .

وليرفع يديه وليقل :

اللهم انى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى .

الحمد لله الذى بلغ بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا ، وجعله مباركا وهدى للعالمين .

اللهم إنى عبدك والبلد بلدك ، والحرم حرمك ، والبيت بيتك ، جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك ، الراجى لرحمتك ، الطالب مرضاتك .

السادس : أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول :

اللهم أمانتى أديتها وميثاق وفيته أشهد لى بالموافاة .

فان لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك .. ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف .

....

الجملة الرابعة فى الطواف :

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لغيره فينبغى أن يراعى أموراً ستة :

الأول : أن يراعى **شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة .**

فالطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام ، وليضطبع قبل إبتداء الطواف ، وهو أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ، ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ، ويشتغل بالأدعية التى سنذكرها .

الثانى : إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره ، وليقف عند الحجر الأسود ، وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر أمامه فيمر بجميع الحجر بجمع بدنه فى ابتداء طوافه ، وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل .

ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان ، فإنه من البيت ، وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به .

والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف فى البيت .. والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ، ثم من هذا الموقف يبتدىء الطواف .

الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف :

بسم الله والله أكبر ، اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ .

ويطوف ، فأول ما يجاوز الحجر ينتهى إلى باب البيت فيقول :

اللهم هذا البيت بيتك ، وهذا الحرم حرمك ، وهذا الامن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار .

وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام ابراهيم عليه السلام ويقول :
اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذنى من النار ، من الشيطان الرجيم ، وحرم لحمى ودمى على النار ، وآمنى من أهوال يوم القيامة ، واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة .

ثم يسبح الله تعالى وبحمده حتى يبلغ الركن العراق ، فعنده يقول :

اللهم إنى أعوذ بك من الشرك والشك ، والكفر والنفاق ، والشقاق وسوء الاخلاق ، وسوء النظر فى الأهل والمال والولد .

فإذا بلغ الميزاب قال : **اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، اللهم اسقنى بكأس محمد ﷺ شربة لا أظمأ بعدها أبدا**

فإذا بلغ الركن الشامى قال :

اللهم اجعله حجا مبرورا ، وسعيا عليه مشكورا ، وذنبا

مغفورا ، وتجارة لن تبور ، يا عزيز يا غفور ، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم .

فإذا بلغ الركن اليمانى قال :

اللهم إنى أعوذ بك من الكفر ، وأعوذ بك من الفقر ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة .

ويقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود :

اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار .

فإذا بلغ الحجر الأسود قال .

اللهم اغفر لى برحمتك ، أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر ، وضيق الصدر وعذاب القبر

وعند ذلك قد تم شوط واحد ، فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية فى كل شوط .

الرابع : أن يرمل فى ثلاثة أشواط ويمشى فى الأربعة الأخرى على الهيئة المعتادة .

ومعنى الرمل الإسراع فى المشى مع تقارب الخطا ، وهو دون العدو وفوق المشى المعتاد .

والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة .

هكذا كان القصد أولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السُّنة [1]

والأفضل الرمل مع الدنو من البيت ، فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل : فليخرج إلى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ؛ ثم ليقرب إلى البيت فى المزدحم وليمشي أربعا ؛ وإن أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب ؛ وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبّل يده .

وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان .

وروى « أَنَّــه ﷺ [2] كَانَ يَسْتَلِــمُ الرُّكْــنَ الْيَمَنِــىَّ وَيُقَبِّلُهُ [3] وَيَضَــعَ خَدَّهُ عَلَيْه » [4] .

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل : فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال : المشركون أنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يرموا الاشواط الثلاثة ـــ الحديث : وأما الاضطباع فروى د هـ ك وصححه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليمانى : متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة اذا استلم الركن الأسود ـــ الحديث : ولهما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان الا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يسلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى اذا أتيت البيت معه استلم الركن .

(٣) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له : متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا استلم الركن اليمانى قبله .

(٤) حديث وضع الخد عليه : قط ك من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى ـــ الحديث : قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبدالله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور .

ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى .

الخامس : إذا تم الطواف سبعاً فليأت الملتزم ؛ وهو بين الحجر والباب ؛ وهو موضع استجابة الدعوة .

وليلتزق بالبيت ؛ وليتعلق بالأستار ، وليلصق بطنه بالبيت ؛ وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه ، وليقل :

اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم ، وأعذنى من كل سوء ؛ وقنعني بما رزقتنى ، وبارك لى فيما آتيتنى ..

اللهم ان هذا البيت بيتك ، والعبد عبدك ؛ وهذا مقام العائذ بك من النار .

اللهم اجعلنى أكرم وفدك عليك .

ثم ليحمد الله كثيراً فى هذا الموضع وليصل على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه .

وكان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عنى حتى أقر لربى بذنوبى .

السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين

يقرأ فى الأولى « قل يا أيها الكافرون » ، وفى الثانية « الاخلاص » ، وهما ركعتا الطواف .

قال الزهرى ..[1] مَضَت السُّنة أن يصلى لكل سبع ركعتين ، وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز [2]**فعل ذلك رسول الله ﷺ**

وكل أسبوع طواف ، وليدع بعد ركعتى الطواف ، وليقل :

اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى ، واغفر لى فى الآخرة والأولى ، واعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك ، وأعِنّى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك ، واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين .

اللهم حببنى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين .

اللهم فكما هديتنى إلى الإسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك ، واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك ، وأجرنى من مضلات الفتن .

ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف .

---

(١) حديث الزهرى مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين : ذكره خ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبى صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سعيا وصلى خلف المقام ركعتين .

(٢) حديث قرانه صلى الله عليه وسلم بين أسابيع : ابن أبى حاتم من حديث بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه فى الضعفاء ، وابن شاهين فى أماليه من حديث أبى هريرة وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفى اسنادهما عبدالسلام ابن أبى الجنوب منكر ـــ الحديث :

قال ﷺ :(١) « مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ اسبُوعاً وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَلَهُ مِنَ الْأَجرِ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ » .

وهذه كيفية الطواف .

والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت ، وأن يبتدىء بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره ، وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت ، لا على الشاذروان ولا فى الحجر ، وأن يوالى بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد ، وما عدا هذا فهو سنن وهيئات

....

الجملة الخامسة فى السعى :

فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر ، فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل ، فيرقى فيه درجات فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل .

---

(١) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة : وحسنه و ن هـ من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ هـ وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة وللبيهقى فى الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة .

رَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [1] حَتَّى بَدَتْ لَهُ الْكَعْبَةُ .

وابتداء السعى من أصل الجبل كاف . وهذه الزيادة مستحبة ، ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة ، فينبغى أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي . وإذا إبتدأ من ها هنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات .

وعند رقية فى الصفا ينبغى أن يستقبل البيت ويقول :

الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله على ما هدانا ، الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

لا إله إلا الله مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين ، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون .

وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج

---

(١) حديث انه رق على الصفا حتى بدت له الكعبة : م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرق عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة اتى الصفا فعلا عليه حتى نظر الى البيت .

الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر..

اللهم إنى أسألك إيمانا دائماً ويقينا صادقا ، وعلما نافعا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا ، وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة .

ويصلى على محمد ﷺ ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء .

ثم ينزل ويبتدىء السعى وهو يقول :

رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم .

اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

ويمشى على هينة حتى ينتهى إلى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا ، وهو على زاوية المسجد الحرام فإذا بقى بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ فى السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى إلى الميلين الأخضرين ، ثم يعود إلى الهينة .

فإذا انتهى إلى المروة صعدها كما صعد الصفا ، وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء ، وقد حصل السعى مرة واحدة ، فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان ، يفعل ذلك سبعا ويرمل فى موضع الرمل فى كل مرة ، ويسكن فى موضع السكون كما سبق .

وفى كل نوبة يصعد الصفا والمروة ، فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان .

والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة ؛ بخلاف الطواف .

وإذا سعى فينبغى أن لا يعيد السعى بعد الوقوف ، ويكتفى بهذا ركنا ، فانه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط فى طواف الركن ، نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان .

....

الجملة السادسة فى الوقوف وما قبله :

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف .

وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذى الحجة ، فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ، ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغُدوّ منها إلى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال .

إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر ، فينبغى أن يخرج إلى منى ملبيا .

ويستحب له المشى من مكة فى المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر

عليه ، والمشى من مسجد ابراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وآكد .

فاذا انتهى إلى منى قال : **اللهم هذه منى فامنن عليّ بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك .**

ويمكث هذه الليلة بمنى ، وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك ، فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح ، فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول :

اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط ، وأقربها من رضوانك ، وأبعدها من سخطك .

اللهم إليك غدوت وإياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وأفضل .

فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد **فَثَمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [1] قُبَّتَهُ .**

ونمرة هي بطن عرفة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف .

فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقعد ، وأخذ المؤذن فى الأذان والإمام فى الخطبة الثانية ، ووصل الإقامة بالأذان ، وفرغ الإمام من تمام إقامة المؤذن ، ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة : مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة ـــ الحديث :

وإقامتين ، وقصر الصلاة ، وراح إلى الموقف ، فليقف بعرفة ولا يقفن فى وادى عرفة .

وأما مسجد ابراهيم عليه السلام فصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة .. فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة .

ويتميز مكان عرفة من المسجد بصحرات كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عند الصحرات بقرب الإمام مستقبلا للقبلة راكبا ، وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة .

ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ، ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل لأحب أن يلبى تارة ويكب على الدعاء أخرى .

وينبغى أن لا ينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع فى عرفة بين الليل والنهار ، وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط فى الهلال فهو الحزم وبه الأمن من الفوات .

ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج ، فعليه أن يتحلل من إحرامه بأعمال العرة ، ثم يريق دما لأجل الفوات ، ثم يقضى العام الآتى ، وليكن أهم اشتغاله فى هذا اليوم الدعاء ، ففى مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات .

والدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ (١) وعن السلف فى يوم عرفة أولى ما يدعو به فليقل :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، وفى لسانى نوراً .

اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى .

---

(١) حديث الدعاء المأثور فى يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ـــ الحديث : ت من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال حسن غريب وله من حديث على قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فى الموقف اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى ولك رب تراثى اللهم انى أعوذ بك من شر ما يجىء به الريح وقال ليس بالقوى اسناده وروى المستغفرى فى الدعوات من حديثه يا على ان أكثر دعاء من قبلى يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير اللهم اجعل فى بصرى نوراً وفى سمعى نوراً وفى قلبى نوراً اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الامر وفتنة القبر وشر ما يلج فى الليل وشر ما يلج فى النهار وشر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر واسناده ضعيف وروى الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم انك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شىء من أمرى أنا البائس الفقير فذكر ـــ الحديث : الى قوله يا خير المسئولين ويا خير المعطين واسناده ضعيف وباقى الدعاء من دعاء بعض السلف وفى بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة .

وليقل :

اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول ، لك صلاتى ونسكي ومحياى ومماتى ، واليك مآبى واليك ثوابى .

اللهم إنى أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر .

اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، ومن شر ما يلج فى النهار ، ومن شر ما تهب به الرياح ، ومن شر بوائق الدهر .

اللهم إنى أعوذ بك من تحول عافيتك وفجآة نقمتك وجميع سخطك .

اللهم اهدنى بالهدى ، واغفر لى بالآخرة والأولى ، ياخير مقصود، وأسنى منزول به ، وأكرم مسئول ما لديه ، أعطنى العشية أفضل ما أعطت أحدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين .

اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ، ويافاطر الأرضين والسموات : ضجت اليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى إليك أن لا تنسانى فى دار البلاء إذا نسينى أهل الدنيا .

اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شيء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، الوجل المشفق المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك

ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه .

اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا ، وكن بي رءوفا ، رحيما ، يا خير المسئولين ، وأكرم المعطين .

إلهي من مدح لك نفسه ، فاني لائم نفسي .

إلهي أخرست المعاصي لساني فمالي وسيلة من عمل ، ولا شفيع سوى الأمل .

إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك أكرم الأكرمين .

إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فان رحمتك أهل أن تبلغني ، ورحمتك وسعت كل شيء ، وأنا شيء .

إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم .

إلهي أنت أنت وأنا أنا العواد إلى الذنوب ، وأنت العواد إلى المغفرة .

إلهي إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون

إلهي تجنبت عن طاعتك عمداً وتوجهت إلى معصيتك قصداً .

فسبحانك ما أعظم حجتك على وأكرم عفوك عنى ، فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى عنك وفقرى إليك وغناك عنى ألا غفرت لى .

يا خير من دعاه داع ، وأفضل من رجاه راج ، بحرمة الإسلام ، وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لى جميع ذنوبى ، واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج ، وهب لى ما سألت ، وحقق رجائى فيما تمنيت .

إلهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه .

إلهى ما أنت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه ، خاشع لك بذلته ، مستكين بجرمه ، متضرع إليك من عمله ، تائب إليك من اقترافه ، مستغفر لك من ظلمه ، مبتهل إليك فى العفو عنه ، طالب إليك نجاح حوائجه ، راج إليك فى موقفه مع كثرة ذنوبه ، فياملجأ كل حى ، وولى كل مؤمن ، من أحسن فبرحمتك يفوز ، ومن أخطأ فبخطيئته يهلك .

اللهم إليك خرجنا ، وبفنائك أنخنا ، وإياك أملنا ، وما عندك طلبنا ، ولإحسانك تعرضنا ، ورحمتك رجونا به ومن عذابك أشفقنا ، وإليك بأثقال الذنوب هربنا ، ولبيتك الحرام حججنا .

يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين .

يا من ليس معه رب يدعى .

يا من ليس فوقه خالق يخشى .

ويا من ليس له وزير يؤتى ، ولا حاجب يرشى .

يا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا جودا وكرما ، وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا .

اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى ، ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة .

اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ، ولكل سائل عطية ، ولكل راج ثوابا ، ولكل ملتمس لما عندك جزاءً ، ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ، ولكل متوسل إليك عفوا ، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ، ووقفنا بهذه المشاعر العظام ، وشهدنا هذه المشاهد الكرام ، رجاء لما عندك ، فلا تخيب رجاءنا .

إلهنا تابعت النعم حتى أطمأنت الأنفس بتتابع نعمك ، وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك ، وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك ، وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك ، وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك ، وعنت الوجوه لعظمتك .

إذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت ، وإن أحسنوا تفضلت وقبلت .

وإن عصوا سترت ، وإن أذنبوا عفوت وغفرت .

وإذا دعونا أجبت ، وإذا نادينا سمعت .

وإذا أقبلنا إليك قربت ، وإذا ولينا عنك دعوت .

إلهنا إنك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[1] .

فأرضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود .

وإنا نشهد بالتوحيد مخبتين ، ولمحمد بالرسالة مخلصين ، فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام ، ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل فى الإسلام .

إلهنا إنك أحببت التقريب إليك بعتق ما ملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فأعتقنا .

وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ، ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا .

ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا .

---

(١) الأنفال : ٣٨ .

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار..

وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول :

يا من لا يشغله شأن عن شأن ، ولا سمع عن سمع ، ولا تشتبه عليه الأصوات .

يا من لاتغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات .

يا من لا يبرمه إلحاح الملحين ، ولا تضجره مسألة السائلين ، أذقنا بَرْد عفوك وحلاوة مناجاتك .

وليدع بما بدا له . وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، وليلح فى الدعاء . وليعظم المسألة فإن الله لا يتعاظمه شىء .

وقال مطرف بن عبدالله وهو بعرفة :

اللهم لا ترد الجميع من أجلى .

وقال بكر المزنى : قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم .

....

الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف .

فإذا **أفاض من عرفة** بعد غروب الشمس فينبغى أن يكون على السكينة والوقار . وليجتنب وجيف الخيل وايضاع الإبل كما يعتاده بعض الناس ، فإن رسول الله ﷺ[1] .

« نَهَى عَنْ وَجِيفِ ٱلْخَيْلِ وَإِيضَاعِ ٱلْإِبِلِ ، وقال : اتَّقُوا اللهَ وَسِيرُوا سَيْراً جَمِيلًا لَا تَطَأُوا ضَعِيفًا وَلَا تُؤْذُوا مُسْلِمًا » .

فإذا بلغ **المزدلفة** اغتسل لها لأن المزدلفة **من الحرم** ، فليدخله بغسل وإن قدر على دخوله ماشياً فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم .

ويكون فى الطريق **رافعا** صوته **بالتلبية** .

فإذا بلغ **المزدلفة** ، قال :

اللهم إن هذه مزدلفة ، جمعت فيها ألسنة مختلفة ، تسألك حوائج مؤتنفة ، فاجعلنى ممن دعاك فاستجبت له ، وتوكل عليك فكفيته .

ثم يجمع بين المغرب والعشاء **بمزدلفة فى وقت العشاء قاصرا لها** بأذان واقامتين ليس بينهما نافلة ، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين .

---

(١) حديث نهى النبى عن وجيف الخيال وايضاع الابل : ن ك وصححه من حديث أسامة بن زيد عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس فى إيضاع الابل قال ك ليس البر أبا يجاف الخيل والابل وللبخارى من حديث ابن عباس فان البر ليس بالايضاع .

ويبدأ بنافلة المغرب ، ثم بنافلة العشاء كما فى الفريضتين .

فإن ترْك النوافل فى السفر خسران ظاهر ، وتكليف إيقاعها فى الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض .

فإذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤهما على حكم الجمع بالتبعية أولى .

ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض فى جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا إليه من التبعية والحاجة .

ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو **مبيت نسك** . ومن خرج منها فى النصف الأول من الليل ولم يبت **فعليه دم** وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه .

ثم إذا انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل ، ويتزوّد الحصى منها ، ففيها أحجار رخوة فليأخذ **سبعين حصاة** فإنها قدر الحاجة

ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ، ثم ليغلس بصلاة الصبح ، وليأخذ فى المسير حتى إذا انتهى إلى **المشعر الحرام** وهو آخر **المزدلفة** يقف ويدعو إلى الاسفار ويقول :

اللهم بحق المشعر الحرام ، والبيت الحرام والشهر الحرام ولركن والمقام ، أبلغ روح محمد منا التحية والسلام ، وأدخلنا دار السلام ، ياذا الجلال والاكرام .

ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى إلى موضع يقال له **وادى محسر** ، فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وإن كان راجلاً أسرع فى المشى .

ثم إذا أصبح يوم **النحر** خلط التلبية بالتكبير : **فيلبى** تارة **ويكبر** أخرى . فينتهى إلى **منى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة** ، فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر ؛ حتى ينتهى إلى **جمرة العقبة** ، وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة والمرمى مرتفع قليلاً فى سفح الجبل ، وهو ظاهر بمواقع الجمرات ، ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح .

وكيفيته : أن يقف مستقبلاً للقبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ، ويرمى سبع حصيات رافعاً يده ، ويبدل التلبية بالتكبير ، ويقول مع كل حصاة : **الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان ، اللهم تصديقاً بكتابك واتباعاً لسنة نبيك** .

فإذا رمى قطع التلبية والتكبير ، الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر **يوم النحر** إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق . ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء بل يدعو فى منزله .

وصفة التكبير أن يقول :

الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان

الله بكرة وأصيلاً ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

لا إله إلا الله والله أكبر .

ثم ليذبح الهدى إن كان معه ، والأولى أن يذبح بنفسه ، وليقل :

بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وإليك ، تقبل منى كما تقبلت من خليلك إبراهيم .

والتضحية بالبدن أفضل ، ثم بالبقر ، ثم بالشاة ، والشاة أفضل من مشاركة ستة فى البدنة أو البقرة ، **والضأن أفضل** من المعز

قال رسول الله ـ ﷺ ـ[1] : « **خَيْرُ ٱلأُضْحِيَةِ ٱلْكَبْشُ ٱلأقْرَنُ** » .

والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء ، وقال أبو هريرة : **البيضاء أفضل فى الأضحى من دم سوداوين .**

وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع .

---

(١) حديث خير الأضحية الكبش : د من حديث عبادة بن الصامت و ت هـ من حديث أبى أمامة قال ت غريب وعفير يضعف فى الحديث .

ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء .

والجدع فى الأنف والاذن القطع منهما .

والعضب فى القرن : وفى نقصان القوائم .

والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق .

والخرقاء من أسفل .

والمقابلة المخروقة الأذن من قدام .

والمدابرة من خلف .

والعجفاء المهزولة التى لا تنقى أى لا مخ فيها من الهزال .

ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ، ثم ليحلق الباق ويقول :

اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة ، وارفع لى بها عندك درجة .

والمرأة تقصر الشعر .

والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه .

ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول ، وحل له كل المحظورات إلا النساء والصيد .

ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه . وهذا الطواف طواف ركن فى

الحج ، ويسمى طواف الزيارة . وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر .

وأفضل وقته يوم النحر ، ولا آخر لوقته بل أن يؤخر إلى أى وقت شاء ، ولكن يبقى مقيداً بعلقة الاحرام ، فلا تحل له النساء إلى أن يطوف ، فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ، ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج .

وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم . فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم ، وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى .

وأسباب التحلل ثلاثة : الرمى ، والحلق ، والطواف الذى هو ركن :

ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ، ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف .

والسنة للإمام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال ، وهى خطبة وداع رسول الله ـ ﷺ ـ .

ففى الحج أربع خطب :

خطبة يوم السابع .

وخطبة يوم عرفة .

وخطبة [1] يوم النحر .

وخطبة يوم النفر الأول .

وكلها عقيب الزوال ، وكلها افراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة .

ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمى ، فيبيت تلك الليلة بمنى ، وتسمى ليلة القر لأن الناس فى غد يقرون بمنى ولا ينفرون .

فإذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمى وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة ، ويرمى إليها بسبع حصيات .

فإذا تعداها انحرف قليلاً عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ،

---

(١) حديث الخطبة يوم النحر ولى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم : خ من حديث أبى بكر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفى حديث علقه خ ووصله هـ من حديث ابن عمر وقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا ــ الحديث : وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع .

ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلاً على الدعاء ، ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الأولى .

ويقف كما وقف للأولى ، ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمى تبعاً ، ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى .

وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ، ويصبح

فإذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله .

ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة ، فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه .

وان صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى إحدى وعشرين حجراً كما سبق .

وفى ترك المبيت والرمى اراقة دم ، وليتصدق باللحم ، وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى .

كَانَ رسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ يَفْعَلُ ذلِكَ[1] ولا يتركن حضور الفرائض مع الإمام فى مسجد الخيف ، فان فضله عظيم ، فان أفاض من

---

(١) حديث زيارة البيت فى ليالى منى والمبيت بمنى : د فى المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالى منى قال د وقد أسند قلت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والرسل صحيح الاسناد لأبى داود من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم مكث بمنى أيام التشريق .

منى بالاولى أن يقيم بالمحصب من منى ، ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة[1] - رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، فان لم يفعل ذلك فلا شيء عليه .

الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع :

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق فى الحج ، ويحرم بالعمرة من ميقاتها .

وأفضل مواقيتها الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية .

وينوى العمرة ويلبى ، ويقصد مسجد عائشة رضى الله عنها ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء ، ثم يعود إلى مكة وهو يلبى حتى يدخل المسجد الحرام ، فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعاً وسعى سبعاً كما وصفنا . فإذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته .

والمقيم بمكة ينبغى أن يكثر الاعتمار والطواف . وليكثر النظر إلى البيت . فإذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل ، وليدخله حافياً موقراً ، قيل لبعضهم :

هل دخلت بيت ربك اليوم ؟ فقال :

والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربى فكيف

---

(١) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة : خ من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ، ثم هجع هجعة ــ الحديث :

أراهما أهلاً لأن أطأ بهما ببيت ربى ، وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا ؟

وليكثر شرب ماء زمزم ، وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه ، وليرتو منه حتى يتضلع ، وليقل :

اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم ، وارزقنى الاخلاص واليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة !

قال ـ ﷺ ـ [1] :

« مَاءُ زَمْزَمَ لِماَ شُرِبَ لَهُ » أى يشفى ما قصد به .

الجملة التاسعة فى طواف الوداع

مهما عنَّ له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولاً أشغاله ، وليشد رحاله ، وليجعل آخر أشغاله وداع البيت .

ووداعه بأن يطوف به سبعاً كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع .

فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام ، وشرب من ماء زمزم ، ثم

---

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له : هـ من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك فى المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد ان سلم من محمد بن حبيب الجارودى قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كانْ صدوقا قال ابن القطان لكن الراوى عنه مجهول وهو محمد ابن هشام المروزى .

يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول :

اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، حملتنى على ما سخرت لى من خلقك حتى سيرتنى فى بلادك ، وبلغتنى بنعمتك حتى أعنتنى على قضاء مناسكك .

فان كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا ، وإلا فمُنَّ الآن قبل تباعدى عن بيتك .

هذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك .

اللهم أصحبنى العافية فى بدنى ، والعصمة فى دينى ، وأحسن منقلبى ، وارزقنى طاعتك أبداً ما أبقيتنى ، واجمع لى خير الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير .

اللهم لا تجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام ، وإن جعلته آخر عهدى فعوضنى عنه الجنة !

والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها :

قال ـ ﷺ ـ[1] : « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي » .

---

(١) حديث من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى : الطبرانى والدارقطنى من حديث ابن عمر .

وقال ـ ﷺ ـ[١] « وَمَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ فَقَدْ جَفَانِي » .

وقال ـ ﷺ ـ[٢] :

« مَنْ جَاءَنِي زَائِراً لَا يَهُمُّهُ إِلَّا زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا » .

فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله ـ ﷺ ـ فى طريقه كثيراً .

فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال :

اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب .

وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة ، وليتطيب ، وليلبس أنظف ثيابه ، فإذا دخلها فليدخلها متواضعاً معظماً ، وليقل :

« بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلنى مُدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانًا نصيرًا » .

---

(١) حديث من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى : ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان فى الضعفاء والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرنى فقد جفانى وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث أنس ما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر .

(٢) حديث من جاءنى زائرا لا تهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا : الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن .

ثم يقصد المسجد ويدخله ، ويصلى بجنب المنبر ركعتين ، ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، ويستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التي فى قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله - ﷺ - قبل أن يغير المسجد وليجتهد أن يصلى فى المسجد الأول قبل أن يزاد فيه .

ثم يأتى قبر النبى - ﷺ - فيقف عند وجهه ، وذلك بأن يستدير القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ، ويجعل القنديل على رأسه

وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله ، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول :

السلام عليك يا رسول الله .

السلام عليك يا نبى الله .

السلام عليك يا أمين الله .

السلام عليك يا حبيب الله .

السلام عليك يا صفوة الله .

السلام عليك يا خيرة الله .

السلام عليك يا أحمد .

السلام عليك يا محمد .

السلام عليك يا أبا القاسم

السلام عليك يا ماحى .

السلام عليك يا عاقب .

السلام عليك يا حاشر .

السلام عليك يا بشير .

السلام عليك يا نذير .

السلام عليك يا طهر :

السلام عليك يا طاهر .

السلام عليك يا اكرم ولد آدم .

السلام عليك يا سيد المرسلين .

السلام عليك يا خاتم النبيين .

السلام عليك يا رسول رب العالمين .

السلام عليك يا قائد الخير .

السلام عليك يا فاتح البر .

السلام عليك يا نبى الرحمة .

السلام عليك يا هادى الأمة .

السلام عليك يا قائد الغر المحجلين .

السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين .

جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن قومه ورسولا عن أمته .

وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون ، وكلما غفل عنك الغافلون .

وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجلّ وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه ، كما استنقذنا بك من الضلالة ، وبصرنا بك من العماية ، وهدانا بك من الجهالة .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله ، وأمينه وصفيه ، وخيرته من خلقه .

وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت عدوك ، وهديت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين .

فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرّف وكرم وعظم .

وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول :

السلام عليك من فلان ، السلام عليك من فلان .

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله ـ ﷺ ـ ، ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه .

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول

السلام عليكما يا وزيرى رسول الله ﷺ ، والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا ، والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين ، تتبعان فى ذلك آثاره ، وتعملان بسنته .

فجزاكما الله خير ما جزى وزيرى نبى عن دينه .

ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله ــ ﷺ ــ بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة ، وليحمد الله عز وجل ، وليمجده ، وليكثر من الصلاة على رسول الله ــ ﷺ ــ ثم يقول :

اللهم إنك قد قلت وقولك الحق : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[1]

اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك ، متشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا .

فتب اللهم علينا ، وشفّع نبيك هذا فينا ، وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك .

اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان .

اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين .

---

(١) النساء : ٦٤ .

ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ[1] .

« مَا بَيْنَ قَبرِى وَمِنبَرِى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنبَرِى عَلَى حَوْضِى » .

ويدعو عند المنبر . ويستحب أن يَضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله – ﷺ –[2] يضع يده عليها عند الخطبة .

ويستحب له أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء ، فيصلى الغداة فى مسجد النبى – ﷺ – ثم يخرج ، ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر ، فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد .

ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله – ﷺ – ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن على رضى الله عنهما ، وفيه أيضا قبر على بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله – ﷺ – وقبر صفية عمة رسول الله – ﷺ – ، فذلك كله بالبقيع .

---

(١) حديث ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى : متفق عليه من حديث أبى هريرة وعبدالله بن زيد .

(٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر : لم أقف له على أصل وذكر محمد ابن الحسن بن زبالة فى تاريخ المدينة أن طول رومانتى المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم بيديه الكريمتين اذا جلس شبر وأصبعان .

ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت يصلى فيه ، لماروى أن رسول ــ ﷺ ــ[1] قال « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَتىَّ يَأْتِىَ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَيُصَلِّىَ فِيه كَانَ لَهُ عِدلُ عُمْرَةٍ » .

ويأتى بئر أريس ، يقال إن النبى ــ ﷺ ــ[2] تفل فيها ، وهى عند المسجد ، فيتوضأ منها ويشرب من مائها .

ويأتى مسجد الفتح وهو على الخندق ، وكذا يأتى سائر المساجد والمشاهد .

ويقال إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد ، فيقصد ما قدر عليه . وكذلك يقصد الآبار التى كان رسول الله ــ ﷺ ــ[3] يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهى سبع آبار طلباً للشفاء وتبركاً به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم :

---

(١) حديث من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة : النسائى وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح .

(٢) حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر أريس : لم أقف له على أصل وانما ورد أنه تفل فى بئر البصة وبئر غرس كما سيأتى عند ذكرها .

(٣) حديث الآبار التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهى سبعة آبار : قلت وهى بئر أريس وبئر رومة وبئر حاوبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى فى حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من حديد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ ــ الحديث : وحديث بئر حا متفق عليه من حديث أنس =

= قال كان أبو طلحة أكثر انصارى بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله اليه بئر حا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ـــ الحديث : وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة ويجعل من دلوه مع دلاء المسلمين ـــ الحديث : قال ت حديث حسن وفى رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل ـــ الحديث : وقال حسن صحيح وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الاسلمى قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث : وحديث بئر غرس رواه ابن حبان فى الثقات من حديث أنس أنه قال ائتونى بماء من بئر غرس فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجة باسناد جيد مرفوعا اذا أنا مت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس ورويناه فى تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضعيف مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفى : وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث ابن سعيد الخدرى أنه قيل برسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من بئر بضاعة وفى رواية انه يستقى لك من بئر بضاعة ـــ الحديث : قال يحى بن معين اسناده جيد وقال ت حسن والطبرانى من حديث أبى أسيد بصق النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر بضاعة ورويناه أيضا فى تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة رواه ابن عدى من حديث أبى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره فى البصة وفيه محمد بن الحسن ابن زبالة ضعيف وحديث بئر السقيا رواه من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار فى مسنده أو من بئر السقيا ولاحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد ابن ابى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أئتونى بوضوء فلما توضأ قام ـــ الحديث : وأما بئر جمل ففى الصحيحين من حديث أبى الجهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل ـــ الحديث : وصله خ وعلقه م والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقد روى الدارمى من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على سبع قرب من آبار شتى ـــ الحديث : وهو عند خ دون قوله من آبار شتى .

قال ـــ ﷺ ـــ[1] .

« لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقال ـــ ﷺ ـــ :[2] « من اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَة فَلْيَمُتْ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أَحَدٌ إلا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتى القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ، ويودع رسول الله ـــ ﷺ ـــ ، ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة اليه ، ويسأل السلامة فى سفره .

ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة ، وهى موضع مقام رسول الله ـــ ﷺ ـــ قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد .

فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ، ثم اليمنى ، وليقل :

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزارى بزيارته وأصحبنى فى سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالما يا أرحم الراحمين .

وليتصدق على جيران رسول الله ـــ ﷺ ـــ بما قدر عليه ، وليتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها ، وهى عشرون موضعا .

---

(١) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة : تقدم فى الباب قبله .

(٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ـــ الحديث : تقدم فى الباب قبله .



الفصل الثانى

سنن الرجوع من السفر

كَانَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ[1] إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أو حج أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ وَيَقُولُ :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » .

وفى بعض الروايات .

« كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

فينبغى أن يستعمل « الحاج » هذه السنة فى رجوعه .

وإذا أشرف « الحاج » على مدينته يحرك الدابة ويقول :

اللهم اجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَاراً وَرِزْقاً حَسَناً[2] .

---

(١) حديث كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على شرف من الأرض ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون رواه المحاملى فى الدعاء باسناد جيد .

(٢) حديث ارسال المسافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة : لم أجد فيه ذكر الارسال وفى الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال امهلوا حتى يدخل ليلا أى عشاء كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة .

ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كى لا يقدم عليهم بغتة ، فذلك هو السنة ولا ينبغى أن يطرق أهله ليلا . فاذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا[1] وليصل ركعتين فهو السنة . كذلك كان يفعل رسول الله ـ ﷺ ـ .

فاذا دخل بيته قال :

توباً توباً لربنا أوباً لا يغادر علينا حَوْباً .

فاذا استقر فى منزله فلا ينبغى أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه ـ ﷺ ـ فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى ، فما ذلك علامة الحج المبرور ، بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

---

(١) حديث صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر : تقدم فى الصلاة .

الباب الثالث

فى الآداب الدقيقة واسرارها المخفية والأعمال الباطنة



الفصل الأول

بيان دقائق الآداب

الأول : أن تكون النفقة حلالا ، وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم .

حتى يكون الهم مجردا لله تعالى ، والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره .

وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت[1] .

« إِذَا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْحِجّ أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ : سَلَاطِينُهُمْ لِلنُّزْهَةِ وَأَغْنِيَاؤُهُمْ لِلتِّجَارَةِ ، وَفُقَرَاؤُهُم لِلْمَسْأَلَةِ ، وَقُرَّاؤُهُمْ لِلسُّمْعَةِ » .

وفى الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التى يتصور أن تتصل بالحج ، فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ، ويخرجه عن حيز حج الخصوص ؛ لاسيما إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة .

---

(١) حديث إذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة : الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال يحج أغنياء أمتى للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للرياء والسمعة .

وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين .

فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه .

وفى مثله ينزل قول رسول الله ـ ﷺ ـ[1] :

« **يُدْخِلُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالحَجَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَلَاثَةً الْجَنَّةَ : الْمُوصِى بِهَا ، وَالْمُنَفِّذُ لَهَا ، وَمَنْ حَجَّ بِهَا عَنْ أَخِيهِ** » .

ولست أقول لا تحل الاجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ، ولكن الأولى أن لا يفعل ، ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره ، فان الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا .

وفى الخبر[2] « **مَثَلُ الَّذى يَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَأْخُذُ أَجْراً مَثَلُ امِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : تُرْضِعُ وَلَدَهَا وَتَأْخُذُ أَجْرَهَا** » .

فمن كان مثاله فى أخذ الاجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه ، فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه ، وليس يحج ليأخذ

---

(١) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الوصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه : حق من حديث جابر بسند ضعيف .

(٢) حديث مثل الذى يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها : ابن عدى من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن .

الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم .

....

الثانى : **أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس :**

وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين فى الطريق ، فان تسليم المال اليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم ، فهو كالاعانة بالنفس ، فليتلطف فى حيلة الخلاص ، فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله .

إن ترك التنقل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة ، فان هذه بدعة أحدثت ، وفى الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة ، وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية .

ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ منى وأنا مضطر ، فانه لو قعد فى البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء .

بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته ، فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب ، فهو الذى ساق نفسه إلى حالة الاضطرار .

....

الثالث : التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا إسراف بل على الاقتصاد .

وأعنى بالاسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين ، فأما كثرة البذل فلا اسراف فيه ، إذ لا خير فى

السرف ولا سرف فى الخير كما قيل ، وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل ، والدرهم بسبعمائة درهم .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : **من كرم الرجل طيب زاده فى سفره .**

وكان يقول : **أفضل الحاج أخلصهم نية ، وأزكاهم نفقة ، وأحسنهم يقينا .**

وقال ﷺ :

(1)« **الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيسَ لَهُ جَزَاءٌ إلا الْجَنَةَ . فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ : مَا بِرُّ الْحَجِّ ؟ فَقَالَ : طِيبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ** » .

....

الرابع : **ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن .**

والرفث اسم جامع لكل لغو وخناء وفحش من الكلام ، ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن ، والتحدث بشأن الجماع ومقدماته ، فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور ، والداعى إلى المحظور محظور .

والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل .

والجدال هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق فى الحال الهمة ويناقض حسن الخلق .

---

(١) حديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له مابر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام : احمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الاسناد .

وقد قال سفيان : من رفث فسد حجه .

وقد جعل رسول الله ﷺ طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج .

والمماراة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله ، وعلى غيره من أصحابه ، بل يلين جانبه ، ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل .

ويلزم حسن الخلق . وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى . وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال . ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال لا .. فقال : ما أراك تعرفه .

الخامس : أن يحج ماشياً إن قدر عليه ، فذلك الأفضل .

أوصى عبدالله بن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال : يا بنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم .

قيل : وما حسنات الحرم ؟

قال : الحسنة بمائة ألف .

والاستحباب فى المشى فى المناسك ، والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه فى الطريق ، وإن أضاف إلى المشى الاحرام من دويرة

أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج ، قاله عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم فى معنى قوله عز وجل .

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (١)

وقال بعض العلماء : الركوب أفضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ، ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه ، وأقرب إلى سلامته وتمام حجه .

وهذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأول ، بل ينبغى أن يفصل ويقال :

من سهل عليه المشى فهو أفضل ، فان كان يضعف ويؤدى به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل ، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق .

وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشى فيها أو يكترى حمارا بدرهم فقال .. إن كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشى .. وإن كان المشى أشد عليه كالأغنياء فالمشى له أفضل ، فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس ، وله وجه .

ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم إلى خير ، فهو أولى من صرفه إلى المكارى عوضا عن ابتذال الدابة فإذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه .

---

(١) البقرة : ١٩٦ .

السادس : **أن لا يركب إلا زاملة .**

أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر ، وفيه معنيان :

أحدهما التخفيف على البعير فان المحمل يؤذيه . والثانى اجتناب زى المترفين المتكبرين « **حَجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ [1]عَلَى رَاحِلَةٍ وَكَانَ تَحْتَهُ رَحْلٌ رَثٌّ وَقَطِيفَةٌ خَلَقَةٌ قِيمَتُهَا أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ** » [2] .

« **وَطَافَ عَلَى الرَّاحِلَةِ لِيَنْظُرَ النَّاسُ إِلَى هَدْيِهِ وَشَمَائِلِهِ** » .

وقال ﷺ :

[3] « **خُذُوا عَنِّى مَنَاسِكَكُمْ** » .

وقيل إن هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء فى وقته ينكرونها ، فروى سفيان الثورى عن أبيه أنه قال :

برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رأيت فى جميعهم إلا محملين .

---

(١) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة حلقة قيمتها أربعة دراهم : الترمذى فى الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف .

(٢) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته : تقدم .

(٣) حديث خذوا عنى مناسككم : م ن واللفظ له من حديث جابر .

وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزى والمحامل يقول :

الحاج قليل والركب كثير ، ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج .

....

السابع : **أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر** ، غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر ، فيكتب فى ديوان المتكبرين المترفين ، ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين ، فقد « **أمَرَ ﷺ [1] بِالشَّعَثِ وَالإِحْتِفَاء** » . وَ « **نَهَى عَنْ التَّنَعُّمِ وَالرَّفَاهِيَةِ** » .

فى حديث فضالة بن عبيد [2] وفى الحديث [3] « **إِنَّمَا الْحَاجُّ الشَّعِثُ التَّفِثُ** » .

[4] **ويقول الله تعالى :**

انظروا إلى زوار بيتى قد جاءونى شعثاً غبراً من كل فج عميق .

(١) حديث الامر بالشعث والاحتفاء : البغوى والطبرانى من حديث عبدالله بن أبى حدرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف .

(٢) حديث فضالة بن عبيد فى النهى عن التنعم والرفاهية وان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الارفاء ولاحمد من حديث معاذ اياك والتنعم ـــ الحديث .

(٣) حديث انما الحاج الشعث التفث : ت هـ من حديث ابن عمر وقال غريب .

(٤) حديث يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق : الحاكم وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبدالله بن عمرو .

وقال تعالى :

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ (١) .

والتفث : الشعث والاغبرار ، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أمراء الأجنادْ ، اخلولقوا واخشوشنوا .

أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة فى الأشياء .

وقد قيل : زين الحجيج أهل اليمن ، لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف ، فينبغى أن يجتنب الحمرة فى زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم .

فقد روى ، أنَّهُ ﷺ (٢) كَانَ فى سَفَرٍ فَنَزَلَ أَصْحَابُهُ مَنْزِلًا فَسَرَحَتِ الابِلُ فَنَظَرَ إِلَى أَكْسِيَةٍ حُمْرٍ عَلَى الأقْتَابِ فَقَالَ ﷺ أَرَى هَذِهِ الْحُمْرَةَ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْكُمْ قَالُوا فَقُمْنَا إِلَيْهَا وَنَزَعْنَاهَا عَنْ ظُهُورِهَا حَتى شَرَدَ بَعْضُ الابل » .

....

الثامن : أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق .

---

(١) الحج : ٢٩ .

(٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية حمر على الأقتاب : فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم ـــ الحديث : ومن حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم .

والحمل خارج عن حد طاقتها ، والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها .

كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة من قعود ، وكانوا لا يقفون عليه الوقوف الطويل .

قال ﷺ[1] « لَا تَتَّخِذُوا ظُهُوْرَ دوابِّكم كَرَاسِىَ » .

ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك[2] فهو سنة وفيه آثار عن السلف .

وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل ، ويوفى الأجرة ، ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة ، فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه لا فى ميزان المكارى .

وكل من آذى بهيمة وحمَّلها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة .

وقال أبو الدرداء لبعير له عند الموت : « **يأيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فانى لم أكن أحمِّلك فوق طاقتك** » .

وعلى الجملة فى كل كبد حرَّاء أجر . فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا .

وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى .

قال رجل لابن المبارك : **احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله .**

---

(١) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى : أحمد من حديث سهل بن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه .

(٢) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يريحها بذلك : الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الأدب وقال مشى قليلا وناقته تقاد .

فقال : حتى أستأمر الجمال فانى قد اكتريت .

فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له ؟ وهو طريق الحزم فى الورع ، فانه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيراً يسيراً .

....

التاسع : **أن يتقرب باراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه .**

ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه ، وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا .

قيل فى تفسير قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ (1)

إنه تحسينه وتسمينه .

وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده ، وليترك المكاس فى شرائه ، فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن : **الهدى والأضحية والرقبة** ، فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله (2) .

وروى ابن عمر أن عمر رضى الله عنهما أهدى **بختية فطُلِبت** منه

---

(1) الحج : 32 .

(2) حديث ابن عمر أن عمر أهدى بخيبه فطلبت منه ثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها : أخرجه د وقال انحرها .

بثلثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك .

وقال : بل أهدها ، وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون .

وفى ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة ، وفيها تكثير اللحم ، ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل ، فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أو قل .

« وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (١)

مَا بِرُّ الْحَجِ ؟

فَقَالَ : الْعَجُّ وَالثَّجُّ ..

والعج هو رفع الصوت بالتلبية . والثج هو نحر البدن .

وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ (٢) قال :

« مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ إِهْرَاقِهِ دَماً

---

(١) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج : ت واستغفر به و هـ و ك وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر وقال الباقولى أى الحج أفضل .

(٢) حديث عائشة ما عمل بن آدم يوم النحر أحب الى الله من اهراقه دما ـــ الحديث : ت وحسنه ابن ماجه وصححه ابن حبان وقال خ انه مرسل ووصله ابن خزيمة .

وَإِنَّهَا لَتأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَإِنَّ الدَّمَ يَقَعُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ بِالأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْساً » .

وفى الخبر : (١)

« لَكُمْ بِكُلِّ صُوفَةٍ مِنْ جِلْدِهَا حَسَنَةٌ وَكُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهَا لَتُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ فَأَبْشِرُوا » .

وقال ﷺ :

« اسْتَنْجِدُوا هَدَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » :

العاشر : أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى ، وبما أصابه من خسران :

ومصيبة فى مال أو بدن إن أصابه ذلك ، فان ذلك من دلائل قبول حجه ، فان المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله عز وجل : الدرهم بسبعمائة درهم ، وهو بمثابة الشدائد فى طريق الجهاد ، فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب ، فلا يضيع منه شيء عند الله عز وجل .

ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه فى المعاصى ، وأن يتبدل باخوانه البطالين إخوانا صالحين ، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة .

---

(١) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا هـ ك وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم فى حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفى رواية للبيهقى بكل قطرة حسنة قال خ لا يصح وروى أبو الشيخ فى كتاب الضحايا من حديث على أما انها يجاء يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك بقولها لفاطمة .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثانى

بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص فى النية والاسرار المخفية

اعلم أن أول الحج الفهم ، أعنى فهم مواقع الحج فى الدين ، ثم الشوق إليه ، ثم العزم عليه ، ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الاحرام ، ثم شراء الزاد ، ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ، ثم المسير فى البادية ، ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ، ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق ، وفى كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر ، وعبرة للمعتبر ، وتنبيه للمريد الصادق ، وتعريف وإشارة للفطن .

فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها .. وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه .

....

أما الفهم

فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن

الشهوات ، والكف عن اللذات ، والاقتصار على الضرورات فيها ، والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات .

ولأجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق ، وانحازوا إلى قلل الجبال ، وآثروا التوحش عن الخلق ، لطلب الأنس بالله عز وجل ، فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة ، وألزموا أنفسهم بالمجاهدات الشاقة طمعا فى الآخرة .

وأثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال :

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١)

فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات ، وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل ، وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها (١)

فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال ﷺ :

« أَبْدَلَنَا اللهُ بِهَا الْجِهَادَ وَالتَّكْبِيرَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ » يعنى الحج .

---

(١) المائدة : ٨٢ .

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياحة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف : أبو داود من حديث أبى أمامة أن رجلا قال يا رسول الله أئذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله رواه الطبرانى بلفظ ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية متى الرباط فى نحر العدو وللبيهقى فى الشعب أنس رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبى هريرة ان رجلا قال يا رسول الله انى أريد ان أسافر فأوصنى قال عليك بتقوى الله والتكبير فى كل شرف .

« وَسُئِلَ ﷺ[1] عَنِ السَّائِحِينَ فَقَالَ هُمُ الصَّائِمُونَ » .

فانعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم .

فشرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ، ونصبه مقصدا لعباده ، وجعل ما حواليه حراما لبيته تفخيما لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه ، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ، ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق ، شعثاً غبراً متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقيهم وعبوديتهم ، وأتم فى إذعانهم وانقيادهم .

ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ، ولا تهتدى إلى معانيها العقول : كرمى الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار .

وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية .

فان الزكاة ارفاق ، ووجهه مفهوم ، وللعقل إليه ميل .

---

(١) حديث سئل من السائحين فقال هم الصائمون للبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمر مرسلا .

والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله ، وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل .

والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع ، وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل .

فأما ترددات السعى ورمى الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ، ولا اهتداء للعقل إلى معانيها ، فلا يكون فى الاقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد .

وقصد الامتثال للأمر من حيث أنه أمر واجب الاتباع فقط ، وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه ، فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلًا .

فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل ، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد .

ولذلك قال ﷺ فى الحج على الخصوص [1] .

« لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ حَقًّا تَعَبُّداً وَرِقًّا » .

ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها .

وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم ، وأن يكون زمامها بيد الشرع ،

---

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تقدم فى الزكاة .

فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد ، وعلى مقتضى الاستعباد وكان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق

وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات . وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى .

....

وأما الشوق : فإنما ينبعث بعد **الفهم** والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل ، وأنه وضع على مثال حضرة الملوك ، فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له .

وإن من قصد البيت فى الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته ، فيُرْزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له ، وهو النظر إلى وجه الله الكريم فى دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل ، ولا تطيق احتماله ، ولا تستعد للاكتحال به لقصورها .

وإنها إن أمدت فى الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ، ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم .

فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة . هذا

مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة ، والبيت مضاف إلى الله عز وجل ، فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الاضافة ، فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل .

....

وأما العزم : فليعلم أنه **بعزمه** قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ، **ومهاجرة** الشهوات واللذات ، **متوجها** إلى زيارة بيت الله عز وجل . **وليعظم** فى نفسه قدر البيت وقدر رب البيت ، وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره .

وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم ، وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة .

وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص

وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره ، فليصحح مع نفسه العزم ، وتصحيحه باخلاصه ، وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة .. فليحذر أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وأما قطع العلائق : فمعناه **رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى** عن جملة المعاصى .

فكل مظلمة علاقة ، وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادى عليه ويقول له :

إلى أين تتوجه ؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره فى منزلك هذا ، ومستهين به ، ومهمل له :

أو لا تستحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولا يقبلك .

فان كنت راغبا فى قبول زيارتك فنفذ أوامره ، ورد المظالم ، وتب إليه أولا من جميع المعاصى ، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك ، لتكون متوجها إليه بوجه قلبك .

كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك ، فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء ، وآخراً إلا الطرد والرد .

وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله ، فان المسافر وماله لعلى خطر إلا من وق الله سبحانه .

وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة ، فان ذلك بين يديه على القرب ، وما يقدمه من هذا السفر فى تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير ، فلا ينبغى أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذ السفر

....

وأما الزاد : فليطلبه من **موضع حلال** ، وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا

السفر ، وأن زاده التقوى ، وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه ، كالطعام الرطب الذى يفسد فى أوّل منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيراً محتاجاً لا حيلة له .

فليحذر أن تكون أعماله التى هى زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت ، بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير .

وأما الراحلة : إذا أحضرها **فليشكر الله تعالى** بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة .

وليتذكر عنده المركب الذى يركبه إلى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها ، فان أمر الحج من وجهٍ يوازى أمر السفر إلى الآخرة .

ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاداً له لذلك السفر على ذلك المركب ، فما أقرب ذلك منه ، وما يدريه لعل الموت قريب ، ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل ، وركوب الجنازة مقطوع به ، وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه .

فكيف يحتاط فى أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر فى زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن .

●●●

وأما شراء ثوبى الاحرام : فليتذكر **عنده الكفن** ولفه فيه ، فانه سيرتدى ويتزر بثوبى الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه ؟

وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفاً فى ثياب الكفن لا محالة ، فكما

لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفاً عادته فى الزى والهيئة .

فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا فى زى مخالف لزى الدنيا ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما فى الكفن .

وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه **فارق الأهل والوطن** متوجهاً إلى الله عز وجل فى سفر لا يضاهى أسفار الدنيا فليحضر فى قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه ، وزيارة مَنْ يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له ، الذين نُودوا فأجابوا ، وشُـوِّقُوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا ، وقطعوا العلاق ؛ وفارقوا الخلائق ، وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى فخّم أمرهُ وعظّم شأنه ورفع قدره ، تسلياً بلقاء البيت عن لقاء رب البيت ، إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم .

وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالاً بأعماله فى الارتحال ومفارقة الأهَل والمال ، ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته .

وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية فى الطريق لقى الله عز وجل وافداً إليه إذ قال جل جلاله :

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[1] .

•••

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات :

فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات .

وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادى عقاربَ القبر وديدانه وما فيه من الأفاعى والحيات ، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشةَ القبر وكربته ووحدته وليكن فى هذه المخاوف فى أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر .

•••

وأما الاحرام والتلبية من الميقات :

فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل ، فارج أن تكون مقبولاً وأخش أن يقال لك : **لا لبيك ولا سعديك** .

فكن بين الرجاء والخوف مترددًا ، وعن حولك وقوّتك متبرئاً ؛

---

(١) النساء : ١٠٠ .

وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلاً ، فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهى محل الخطر .

قال سفيان بن عيينة : حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى .

فقيل له : لم لا تلبى ؟

فقال : أخشى أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك .

فلما لبىٰ غشى عليه ووقع عن راحلته ، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه .

وقال أحمد بن أبى الحوارى : كنت مع أبى سلمان الدارنى رضى الله عنه حين أراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلاً فأخذته الغشية ثم أفاق .

وقال : يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسىٰ عليه السلام : مُرْ ظلمة بنى إسرائيل أن يقلوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة .

ويحك يا أحمد : بلغنى أن من حج من غير حله ثم لبي قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك ، فما نأمن أن يقال لنا ذلك

وليتذكر الملبى عند رفع الصوت بالتلبية فى الميقات إجابته لنداء الله عز وجل ، إذ قال :

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾ (١)

ونداء الخلق بنفخ الصور ، وحشرهم من القبور ، وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ، ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين ، ومقبولين ومردودين : ومترددين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا .

....

وأما دخول مكة :

فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنا .

وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل .

وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخوله الحرم خائباً ومستحقاً للمقت .

وليكن رجاؤه فى جميع الأوقات غالباً ، فالكرم عميم ، والرب رحيم ، وشرف البيت عظيم ، وحق الزائر مرعى ، وزمام المستجير اللائذ غير مضيع .

●●●

وأما وقوع البصر على البيت .

فينبغى أن يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ، ويقدر كأنه مشاهد

---

(١) الحج : ٢٧ .

لرب البيت لشدة تعظيمه اياه .

وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم .

واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه .

واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ، ثم انقسامهم إلى مأذونين فى الدخول ومصروفين ، انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين .

ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة فى شىء مما تراه ، فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة .

●●●

وأما الطواف بالبيت :

فاعلم أنه صلاة فاحضر فى قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه فى كتاب الصلاة .

واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله .

ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت ، بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت ، حتى لا تبتدى الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدىء الطواف من البيت وتختم بالبيت .

واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية ، وأن

البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت ، كما أن البدن مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب .

وأن عالم الملك والشهادة مَدْرَجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب .

وإلى هذه الموازنة وقعت الاشارة بأنَ البيت المعمور فى السموات بازاء الكعبة ، فان طواف الملائكة به كطواف الأنس بهذا البيت .

ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ، ووعدوا بأن[1] .

« مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » .

والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به ، على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى .

●●●

وأما الاستلام :

فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته .

فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك ، فمن غدر فى المبايعة استحق المقت .

---

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم : أبوداود من حديث ابن عمر بسند صحيح .

. وقد روى ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله ـ ﷺ ـ[1] أنه قال :

« ٱلْحَجَرُ ٱلْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِى ٱلْأَرْضِ يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ كَمَا يُصَافِحُ الرَّجُلُ أَخَاهُ » .

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم .

فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت ، وتبركاً بالمماسة ، ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لا فى البيت .

ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الالحاح فى طلب المغفرة وسؤال الأمان ، كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ منه إلا إليه ، ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه ، وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل .

وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت :

فانه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرة بعد أخرى ، إظهاراً للخلوص فى الخدمة ، ورجاءً للملاحظة بعين الرحمة ، كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أو رد ، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى

---

(١) حديث ابن عباس الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها خلقه ــ الحديث : تقدم فى العلم من حديث عبدالله بن عمرو .

يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحم فى الأولى .

وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة ، وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات .

وليتذكر تردده بين الكفتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والغفران .

•••

وأما الوقوف بعرفة :

فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات ، واختلاف اللغات ، واتباع الفرق أئمتهم فى الترددات على المشاعر ، اقتفاء لهم ، وسيراً بسيرهم ، عرصات القيامة ، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة ، واقتفاء كل أمة نبيها ، وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول .

وإذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل ، فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين .

وحقق رجاءك بالإجابة فالموقف شريف ، والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض

ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدان والأوتاد ، وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب .

فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم ،

وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وأمتدت إليه أعناقهم ، وشخصت نحو السماء أبصارهم ، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم .

ولذلك قيل : إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده .

فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد .

●●●

وأما رمى الجمار :

فاقصد به الانقياد للأمر اظهاراً للرق والعبودية ، وانتهاضاً لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه .

ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنة الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله .

فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان .

فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه ، وأنه يضاهى اللعب

فلم تشتغل به . فاطرده عن نفسك بالجد والتشميز فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان .

واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة .

وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل ارغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيماً له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه .

وأما ذبح الهدى فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الأمتثال .

فأكمل الهدى وارج[1] أن يعتق الله بكل جزء منه جزءاً منك من النار .

فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم .

وأما زيارة المدينة :

فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها **البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه ـ ﷺ ـ وجعل إليها هجرته .**

وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسننه ، وجاهد عدوه وأظهر بها دينه ، إلى أن توفاه الله عز وجل ، ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما .

---

(١) حديث انه يعتق بكل جزء من الأضحية جزأ من المضحى من النار : لم أقف له على أصل . وفى كتاب الضحايا لأبى الشيخ من حديث أبى سعيد فان لك بأول قطرة من دمها أن يغفر لك ما تقدم من ذنوبك بقوله لفاطمة واسناده ضعيف .

ثم مثل فى نفسك مواقع أقدام رسول الله ـ ﷺ ـ عند تردداته فيها ، وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة .

فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل ، وتذكر مشيه وتخطيه فى سككها ، وتصور خشوعه وسكينته فى المشى ، وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه ، وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته .

ثم تذكر ما منَّ الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامهِ ، وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضى الله عنهم .

ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته فى الدنيا وأنك من رؤيته فى الآخرة على خطر ، وأنك ربما لا تراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبينه قبوله إياك بسوء عملك ، كما قال ـ ﷺ ـ[1]

« يَرْفَعُ اللهُ إِلَىَّ أَقْوَاماً فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَدُ يَا مُحمَّدُ ! فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابَى ! فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ بُعْداً وَسُحْقاً » .

فان تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال

(١) حديث يرفع إلى أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يارب أصحابى فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا : متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد .

بينك وبينه بعدولك عن محجته .

وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الايمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ فى دنيا ، بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته ، فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة .

فإذا **بلغت المسجد** فاذكر أنها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه ـ ﷺ ـ ولأوّل المسلمين وأفضلهم عصابة .

وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت فى تلك العرصة ، وأنها جمعت أفضل خلق الله حياً وميتاً ، فليعظم أملك فى الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه ، فادخله خاشعاً معظماً

وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبى سليمان أنه قال :

حج أويس القرنى رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له : هذا قبر النبى ـ ﷺ ـ ، فغشى عليه ، فلما أفاق قال : أخرجونى فليس يلذلى بلد فيه محمد ـ ﷺ ـ مدفون !

وأما زيارة رسول الله ـ ﷺ ـ :

فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفناه ، وتزوره ميتاً كما تزوره حياً ، ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً .

وكما كنت ترى الحرمة فى أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلاً بين يديه ، فكذلك فافعل ، فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود .

واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك ، وأنه يبلغه سلامك وصلاتك .

فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعاً فى اللحد بازائك وأحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه ـ ﷺ ـ[1] .

« أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَكَّلَ بِقَبْرِهِ مَلَكاً يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ » .

هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بما فارق الوطن وقطع البوادى شوقاً إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذا فاته مشاهدة غرته الكريمة ؟

وقد قال ـ ﷺ ـ[2] : **« مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْراً »** .

فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ؟

---

(١) حديث ان الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته : ن حب ك من حديث ابن مسعود بلفظ ان لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام .

(٢) حديث من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا : م من حديث أبى هريرة وعبدالله بن عمرو .

ثم ائت منبر الرسول ـ ﷺ ـ وتوهم صعود النبى ـ ﷺ ـ المنبر ، ومثل فى قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وهو ـ ﷺ ـ يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته .

وسل الله عز وجل أن لا يفرق فى القيامة بينك وبينه . فهذه وظيفة القلب فى أعمال الحج .

فإذا فرغ منها كلها فينبغى أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقبل منه حجه وأثبت فى زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين .

وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور وانصرافاً إلى دار الأنس بالله تعالى ، ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع ، فليثق بالقبول .

فان الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ، ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته .

وكف عنه سطوة عدوّه إبليس لعنه الله ، فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب . نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

الفهـرس

رقم الايداع ٤٣٥٦ / ١٩٩٢

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية

الثمن ٢٠٠ قرش

مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية